أصوات العربية من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصوتي

الدكتور محمود مبارك عبد الله عبيدات*

الملخَّص

هَدَفَ هذا البحث إلى دراسة الترتيبات الثلاثة التي عرفها العرب لـصوامت العربية؛ وهي الترتيب الأبجدي والترتيب الهجائي والترتيب الصوتي، وذلك لغـرض الكشف عن أسرار كل ترتيب وأسبابه. ومن ثم التعمق بدراسة الترتيب الصوتي مـن أجل تعرّف ما يمكن أن يقدمه هذا الترتيب من وصف لبعض الأصوات، ولاسيما تلك الأصوات التي اختلف علماء الأصوات في وصفها قديماً وحديثاً، متخذاً من وضـعها في الترتيب مرجِّحا لتقديم تفسير على تفسير آخر، ولاسيما أن الترتيب الصوتي عنـد القدماء يعتمد على تذوقهم للأصوات لتعرّف تدرجها في مخارجها مـن الحلـق إلـى الشفتين. وقد تميّز العرب بذائقة عالية المستوى استطاعوا من خلالها أن يبدعوا فـي عملهم الصوتي وترتيبهم للأصوات. وقد أفدت كذلك لتحقيق هذا الغرض من بعـض الخلافات الصوتية بيننا وبين القدماء.

* قسم الدراسات اللغوية- كلية اللغة العربية وآدابها- جامعة العلوم الإسلامية العالميـة – عمـان- الأردن

المقدمة:

حظيت أصوات العربية بمساحة ليست بالقليلة من الدراسة اللغوية عند علماء العربية القدماء، وقد أدرك هؤلاء العلماء منذ البداية أن من مهام دارس الأصوات أن يقوم على إصلاح أبجدية لغته؛ وذلك لتكون هذه الأبجدية قادرة على أن تفيَ بالغرض المطلوب منها؛ وهو التعبير السليم التام بالكتابة عن اللغة.

وقد كان من أساسيات إصلاح الأبجدية العربية أن يهتم دارسوها بترتيب أصواتها ترتيباً يقوم على أسس علمية سليمة، وذلك من أجل تسهيل عملية دراسة تلك الأصوات في بحوثهم اللغوية.

ولذلك هبَّ علماء العربية منذ القدم يحققون هذه المهمة، فبعد أن أخذوا الترتيب الأبجدي الذي عرفته اللغات السامية الأولى، وجدوا الحاجة مُلِحَّةً إلى إصلاح عيب كبير في تلك الأبجدية، وهو أن فيها عدداً ليس بالقليل من الأصوات التي تتشابه في شكلها الكتابي المعبِّر عنها، وقد أدَّى هذا التشابه إلى وقوع ما يسمى بـ(التصحيف) في نصوصهم المكتوبة؛ قرآناً وحديثاً وشعراً ونثراً. وقد أخذ علاج هذه الآفة بُعداً دينيًاً بسبب ارتباطه بقراءة القرآن الكريم، ولذلك هبَّ الخلفاء والولاة واللغويون لمعالجة التصحيف، فقد وجَّه الحجاج بن يوسف الثقفي لغويِّي عصره إلى إصلاح هذا الخلل، وكان من نتائج هذا الإصلاح أن أعاد نصر بن عاصم وغيره ترتيب الأصوات في الأبجدية ترتيباً يقوم على وضع الأصوات ذات الشكل الكتابي المتشابه بعضها بجانب بعض، وهو ما عرف بالترتيب الهجائي (الألفبائي)، وذلك ليتسنَّى لهم التفكير بطريقة يمكن من خلالها التمييز بين الأصوات المتشابهة، وإصلاح الخلل الجسيم الذي عانت اللغة بسببه، فكان أن توصلوا إلى ما يسمى بنقط الإعجام.

وتأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة في ترتيب أصوات العربية وهي مرحلة الترتيب الصوتي الذي بدأه الخليل بن أحمد الفراهيدي، وذلك حين كان يفكر في ابتداع فكرة جديدة لترتيب مواد معجمه العين. وقد أدرك العلماء بعد الخليل أهمية هذا الترتيب،

وأدركوا كذلك وجود بعض الخلل في الترتيب الذي ارتآه الخليل، فعملوا ابتداء من سيبويه ومن بعده على إصلاح ذلك الخلل، وبذلك تستمرُّ مسيرة إصلاح الأبجدية العربية. وقد وصلت هذه المسيرة مرحلة من الدقة العالية فيما بعد على يدي عالم القراءات الكبير ابن الجزري المتوفى سنة (833هـ)، وذلك حين ميَّز بين نوعين من أصوات العلَّة طالما خلط بينهما القدماء، وهما حروف المد وحروف اللين، جاعلاً لكل نوع منهما مخرجاً وترتيباً يختلف عن الآخر، فالواو لها موضعان أحدهما للمديَّة والآخر لغير المديَّة، وكذلك الياء. وهو بهذا التفكير يوافق ما توصل إليه علماء الأصوات المحدثون الذين ميزوا بين هذين النوعين فجعلوا المديَّ منها مع الحركات، وغير المديَّ مع الصوامت.

وبناء على ذلك كله، فإن مباحث هذه الدراسة ستكون على النحو الآتي:

1- الترتيب الأبجدي لأصوات العربية.
2- الترتيب الألفبائي (الهجائي).
3- الترتيب الصوتي:
أ) ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي.
ب) ترتيب سيبويه.
4- الخاتمة والنتائج.

وفيما يأتي توضيحُ هذه المباحث.

الترتيب الأبجدي لأصوات العربية:

يرتبط الحديث عن الأبجدية بالحديث عن اختراع الكتابة والخط؛ وذلك لأن الأبجدية إنما هي ثمرة من ثمرات اختراع الإنسان للكتابة، فلولا الكتابة ما كانت هناك حاجة إلى أن توضع الأبجدية.

وليس من شأننا هنا الحديث عن اختراع الأبجدية ووضعها[1] بقدر ما يهمنا السر في ترتيب الأصوات في هذه الأبجدية على الشكل الذي جاءت عليه.

فمن المعلوم أن العرب ورثوا هذه الأبجدية من إخوانهم الساميين[2] وعلى وجه التحديد حين اشتق العرب خط لغتهم من الخط النبطي العربي والخط السرياني اللذين اشتقا من الخط الفينيقي الذي يعود في أقوى الآراء إلى الشعب الذي وضع الأبجدية، وهم الفينيقيون (الكنعانيون).

وعدد حروف هذه الأبجدية اثنان وعشرون حرفاً، هي: (أَوْلَفْ، بِتْ، كُومَل، دُوْلَذْ، هِيْ، واو، زاي، حِيْث، طِيْث، يُوْذ، كُوْف، لُوْمَذْ، ميم، نون، سَمْكَث، عي، في، صودي، قُوْف، ريش، شين، تاو).

وقد ركبت من هذه الحروف كلمات استغرقتها كلها، هي: (أبجد، هوّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت).

---

1 - هذه المسألة خلافية بين العلماء المحدثين، فمن المتفق عليه بين اللغويين أن مهد الأبجدية هو المنطقة السورية الفلسطينية التي كانت التوراة تسميها أرض كنعان، فبعض الباحثين يعزو اختراع الأبجدية إلى الكنعانيين (الفينيقيين)، وبعضهم يرى أنها من اختراع الآرا ميين، وبعضهم يرى أنها اشتقت من الكتابة المصرية الهيراطيقية، وبعضهم يرى أن الإيجيين في جزيرة كريت هم الذين اخترعوها ثم أخذها عنهم الفينيقيون، وبعضهم يعزو نشأتها إلى السبئيين في اليمن، أما الرأي الراجح في أوساط علماء اللغة المحدثين فهو أن اختراع الأبجدية إنجاز فينيقي كنعاني تم بين القرنين السابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد، وان أقدم الوثائق الأبجدية التي كشفت في فينيقية هي وثائق أوغاريت المسمارية الطابع.

2 - انظر هذه المسألة عند علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2000م، ص30-31. وانظر رمضان عبد التواب، "فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة، 1999م، ص398.

وقد أخذ العرب هذه الأبجدية بالترتيب السابق نفسه، وزادوا عليه حروفا تستخدم في العربية ولكنها ليست في الأبجدية السامية، وهذه الحروف هي: (الثاء، الخاء، الذال، الضاد، الظاء، الغين)، وقد جمعت هذه الحروف في الأبجدية العربية بكلمتي (ثخذ، ضظغ) وأطلقوا عليها اسم الروادف[1].

أمَّا فيما يتعلق بسبب ترتيب أصوات الأبجدية على هذه الشاكلة التي جاء عليها فقد ذكر القدماء بعض التفسيرات لهذا الترتيب، وهي[2]:-

التفسير الأول: روى ابن هشام الكلبي أن أول من وضع الخط العربي هم قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد وأسماؤهم: (أبو جاد، هواز، حطي، كلمون، صعفص، قريسأت)، ثم وضع الأعراب الكتاب على أسمائهم، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم وهي الروادف فزادوها عليها.

التفسير الثاني: وقيل إن هؤلاء الذين ذكرت أسماؤهم في التفسير الأول كانوا ملوكاً فسمي الهجاء بأسمائهم. والسيوطي يصرح بأن هؤلاء الملوك هم الذين وضعوا الخط العربي.

التفسير الثالث: وقيل إن: أبجاد وهواز وحاطي وكلمان وصاعفص وقرست هم الجبلة الأخيرة، وكانوا نزولاً في عدنان بن أد وأشباهه، فلما استعربوا وضعوا الكتاب العربي.

1- انظر ابن النديم، "الفهرست"، تحقيق رضا – تجدد بن علي المازندراني، 1971م، ص 7. وانظر أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1981م، ص92.

2 - انظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص 7- 8 . وانظر السيوطي "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية - صيدا- بيروت، 1986م، 342/2، 348.

التفسير الرابع: وقيل كان عدة أمم تفرقوا في ممالك متصلة منهم المسمى **بـــأبي جـــاد** وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشيات، وهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام. وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك، وهـــي الأربعة والعشرون[1] حرفاً التي عليها حساب الجمل.

ويرى أنيس فريحة أن هذه التفسيرات لا تعدو كونها أساطير وخرافات ليس لها من الحقيقة أي نصيب[2]. ثم يرى أن حروف الآرامية وعـــددها اثنـــان وعـــشرون حرفاً، قد جمعت بحسب ترتيبها في كلمات (أبجد، هوز، حطـــي، كلمـــن، ســـعفص، قرشت)، وذلك بغية حفظها على هذا الترتيب؛ لأنها كانت تستخدم أيضا للأرقام قبـــل اقتباس الأرقام الهندية فكانت قيمة الألف واحدا، والباء اثنين، إلى حرف التاء وقيمتـــه العددية (400)[3].

ويبدو أن تفسير أنيس فريحة لهذا الترتيب أكثر وجاهة من تفسيرات القدماء، والسبب في ذلك أن تفسيرات القدماء تجعل هذا الترتيب خاصاً بالعربية، إذ تركز دائماً على الربط بين الأسماء المذكورة في الترتيب وبين تعليم الكتابة للعرب. ومن الثابـــت علمياً أن هذا الترتيب لم يكن حكراً على العرب دون غيرهم، بل إنه لـــم يكـــن مـــن اختراع العرب أنفسهم، وإنما أخذه العرب وراثة عمن قبلهم.

أمَّا تفسير أنيس فريحة فيربط بين ترتيب الحروف في الأبجدية وبين مـــسألة مهمة ارتبطت بحروف الأبجدية وأصبحت من الثوابت العلمية التي لا يمكـــن الطعـــن فيها، وهي استخدام هذه الحروف للدلالة على الأرقام وفي عمليات الحـــساب، وذلـــك على النحو الآتي:-

1 - يبدو أن الصحيح الاثنان والعشرون حرفاً.

2 - انظر أنيس فريحة، "نظريات في اللغة"، ص89.

3 - السابق، ص90.

(أ=1، ب=2، ج=3، د=4، ه=5، و=6، ز=7، ح=8، ط =9، ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90، ق=100، ر=200، ش=300، ت=400)

ثم عندما زاد العرب الروادف على الأبجدية أعطوا لكل حرف منها قيمة عددية بالآلية السابقة نفسها، وذلك على النحو الآتي:

(ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000)

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول: إنَّ حاجة المتعلمين من أبناء الأبجديات ممن يستخدمون الحروف للدلالة على الأرقام تكون ملحة، إلى أن يحفظوا القيمة العددية لكل حرف من الحروف، وحتى تكون هذه العملية سهلة لا بدَّ من وضع ترتيب للحروف بحسب القيمة العددية لكل حرف، وحتى يسهل حفظها على ذلك الترتيب جمعت هذه الحروف في الكلمات التي اشتهرت فيها (أبجد، هوز،...)، وعلى ذلك فإن عملية جمع حروف الأبجدية بهذه الكلمات لا تعدو أن تكون عملية تعليمية بحتة.

الترتيب الألفبائي (الهجائي):

ورث العرب الأبجدية كما أشرنا سابقاً من إخوانهم الكنعانيين (الفينيقيين)، والحق أننا لا نعلم متى أخذ العرب هذه الأبجدية، وقد احتفظ العرب بترتيب أصوات لغتهم على الأساس الأبجدي إلى ما بعد المائة الأولى من الهجرة.

ويمكن لنا في هذا الصدد أن نسجل ملاحظتين حول استخدام العرب للترتيبين الأبجدي والألفبائي، هما:

الأولى: أننا لا نجد من بين معاجم اللغة العربية على كثرتها وعلى تعدد الطرائق المتبعة في ترتيب موادها، لا نجد أحدها يرتب مواده معتمداً على الترتيب الأبجدي، فقد اعتمدت معظم المعجمات الترتيب الألفبائي أساسًا لترتيب موادها، واعتمد بعضها

الآخر الترتيب الصوتي الذي ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، كما سنرى في المبحث القادم من هذا البحث.

الثانية: أن الخليل بن أحمد، قال عندما فكر في إعادة ترتيب أصوات العربية على الأساس الصوتي الذي اعتمده: "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري -رحمة الله عليه- من حروف (أ، ب، ت، ث، ...) مع ما تكملت به، فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء. أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشذ عنه شيء من ذلك، فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ من أول (أ، ب، ت، ث) وهو الألف..."[1].

فقد أشار الخليل في هذا النص إلى الترتيب الألفبائي (الهجائي) مرتين، وأشار إلى أنه سيقوم بإعادة هذا الترتيب على أساس علمي، ولم يشر إلى الترتيب الأبجدي بأي شكل، مما يدل على أن الترتيب الألفبائي قد حل مكان الترتيب الأبجدي . فإذا عرفنا أن الخليل بن أحمد قد توفي سنة (175هـ) علمنا أن الترتيب الألفبائي كان قد استُعمل وشاع قبل ذلك الوقت.

ويذهب بعض الباحثين إلى القول: إنَّ اختراع الترتيب الألفبائي كان في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك أنه لما كثر التصحيف في العراق حتى طال قراءة القرآن الكريم فزع الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان إلى كُتّابِه، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة، وقد انبرى نصر بن عاصم الليثي لهذه المهمة، وبعد التفكير والمراجعة تقرر وضع النقط بشكلها الحالي مع إقرار مبدأ الإهمال والإعجام، ولتحقيق ذلك رأى نصر بن عاصم ومن معه أنه لابدَّ من إعادة ترتيب حروف العربية، مما اضطرهم إلى مخالفة الترتيب الأبجدي القديم واتباع

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب "العين"، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد ، بغداد، 1980م، 47/1.

الترتيب الجديد: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي)، وهو الترتيب الذي يقوم على وضع الحروف المتشابهة بصورة الرسم بعضها قرب بعض[1].

وهكذا فإن الغاية من هذا الترتيب هي تسهيل مهمة نصر بن عاصم في تمييز الحروف المتشابهة عن طريق استخدام التنقيط بالهيئة التي نراها الآن في حروف أبجديتنا مع إهمال أحد الحروف المتشابهة على أساس أن عدم العلامة في هذه الحروف علامة عليها.

وقد وضّح لنا الدكتور عدنان الخطيب الآلية التي اعتمدها نصر بن عاصم في ترتيبه حروف العربية[2] ، فقد أحب نصر أن يجمع بين الحروف المتشابهة، ويلحق كل أخ بأخيه، فأخذ من كلمة (أبجد) حرفيها الأولين، وألحق بثانيهما كلاً من التاء والثاء، لتشابه رسمها مع رسم الباء، مُعْجِماً الباء بنقطة واحدة والتاء بنقطتين، والثاء بثلاث نقط على ترتيب العدد، ثم عاد نصر إلى كلمة (أبجد) فأخذ الجيم ووضعها بعد الثاء، ثم ألحق بها كلاً من الحاء والخاء لأنها متشابهة الرسم، معجماً الجيم بنقطة من تحتها، والخاء بواحدة من فوقها، تاركاً الحاء مهملة بين شبيهتيها بحكم التناظر، ثم عاد إلى دال (أبجد) فوضعها مهملة بعد الخاء وألحق بها أختها بالرسم الذال بعدما أعجمها بنقطة من فوقها، وهكذا انتهى نصر بن عاصم من ترتيب تسعة أحرف من حروف الهجاء ترتيباً جديداً يخالف ترتيب حروف الأبجدية.

---

1 - ذكر ابن خلكان دور الحجاج في هذا الأمر وذلك في ترجمته للحجاج، انظر "وفيات الأعيان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 32/2. وانظر إميل بديع يعقوب، "فقه اللغة العربية وخصائصها"، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1982م، ص233-234.

2 - انظر: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط2، 1994 ، ص 25-27.

ثم نظر نصر في كلمة (هوز) ثاني كلمات الأبجدية فوجد أن كلاً من الهاء والواو حرف منفرد في رسمه ولا مثيل له بين حروف العربية فأخرهما، وأثبت الزاي في ترتيبه الجديد بعد أن أعجمها بواحدة من فوقها، وجعل الراء، وهي تماثل الزاي في الرسم، مهملة وتسبق شبيهتها المعجمة في الترتيب، وذلك اتباعاً لترتيب كل من الدال والذال، وقبلهما الحاء والخاء.

وكأن إرداف كل من الحاء والدال والراء بشبيهه المُعْجَم جعل نصراً يلزم نفسه بهذا النهج في ترتيب الحروف الباقية فيتبع كل مهمل من الحروف شبيهه المعجم، لأن ذلك أدعى إلى زيادة التناسق في الترتيب والإجمال في تلاؤم الجوار، وهكذا اختار نصر مما تبقى من حروف العربية المزدوج، أي ما له نظير في الرسم، فكانت لديه كل من: السين والصاد والطاء والعين فألحقها بهذا الترتيب بحرف الزاي مردفاً كل حرف منها بما يشبهه بعدما أعجمه تمييزاً له من المهمل. وقد أعجم الشين بثلاث نقط مجتمعات من فوقها خوفاً من التباس أحد أسنانها بحرف آخر إذا ما أعجمها بواحدة أو باثنتين، وأعجم الضاد بواحدة من فوقها، وكذلك أعجم الظاء والغين، ثم ألحق بالغين الفاء والقاف بعدها، تبعاً لترتيبهما في الأبجدية معجماً القاف باثنتين من فوقها، بعد أن رأى ضرورة إعجام الفاء بواحدة من فوقها خوفاً من التباسها بالميم، إذا ما توسطت في كلمة من الكلمات.

وانتهى الترتيب بنصر بن عاصم إلى أحرف (كلمن) فوضعها بترتيبها في الأبجدية متلاحقة كما هي، بعد أن أعجم النون بواحدة من فوقها، حتى لا تلتبس بمثل الباء أو التاء، ثم ختم ترتيبه حروف العربية بالباقي منها وهي: الهاء والواو والياء. تبعاً لترتيبها في الأبجدية بعد أن أعجم الياء بنقطتين من تحتها خوفاً من التباسها بالباء أو بالتاء أو بالنون إذا ما توسطت الكلمة، تاركاً الهاء والواو بلا إعجام لانفرادهما وعدم وجود شبه لأحدهما بين الحروف تستعجمان به.

ويضيف بعضهم يحيى بن يعمر العدواني إلى نصر بن عاصم في هذا الجهد من إعادة ترتيب أصوات العربية وتنقيطها[1]. وعلى ذلك يمكن القول: إن هذا الترتيب هو ترتيب عربي أصيل، وهو مرحلة من مراحل إصلاح الأبجدية العربية. وقد تعددت التسميات التي يطلقها الدارسون على هذا الترتيب، فبعضهم يطلق عليه مصطلح (ألف باء)[2]، وبعضهم يطلق عليه مصطلح الترتيب الهجائي[3]، وآخرون يطلقون عليه اسم الترتيب الألفبائي، في حين يؤثر بعضهم إطلاق مصطلح الترتيب الأبتثي[4] عليه.

الترتيب الصوتي لأصوات العربية:

تناول هذا البحث الحديث عن ترتيبين صوتيين لأصوات الأبجدية العربية، هما:

الأول: ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وذلك بوصفه البذرة الأولى لفكرة الترتيب الصوتي العربي.

الثاني: ترتيب سيبويه، وذلك لأنه الترتيب الذي اعتمده اللغويون من بعده، فلم يكن لمن جاء بعده سوى التقليد والنقل والتفسير لا غير.

ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي:

من المشهود به للخليل بن أحمد الفراهيدي -رحمه الله- أنه كان بحق إمام علماء الأصوات العرب، فقد قدم للفكر الصوتي العربي أهم أسسه ومبادئه وذلك في معجمه (العين)، بشكل عام، وفي مقدمة هذا المعجم على وجه الخصوص.

---

1 - انظر مصطفى صادق الرافعي ، "تاريخ آداب العرب" ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 2005م، 75/1.

2 - السابق، 75/1.

3 - انظر إميل بديع يعقوب، "فقه اللغة العربية وخصائصها"، ص234.

4 - انظر محمد جواد النوري، "علم أصوات العربية"، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1996م، ص26.

ولعل من أهم المسائل الصوتية التي تعزى للخليل إعـادة ترتيـب أصـوات العربية ترتيباً يقوم على أسس علمية صوتية خالصة، وهو ما عرف بالترتيب الصوتي لأصوات العربية[1]، الذي يقوم على ترتيب أصوات اللغة بحسب مخارجهـا، وذلـك ابتداء من الحلق وصعوداً إلى أن يصل إلى أول الفم.

غير أن ترتيب الخليل أصوات العربية وفق هذا المعيار العلمـي، لـم يكـن مقصوداً لذاته، وإنما كان بهدف ابتكار طريقة علمية عملية لترتيب مواد معجمه الذي ألفه. إذ لم يرغب الخليل في أن يبدأ معجمه بالألف التي هي أول الترتيـب الألفبـائي العربي، وأول الترتيب الأبجدي السامي، وذلك لأن الألف كما يقول حرف معتل، ثـم كره أن ينتقل إلى الصوت الثاني وهو الباء إلا بعد حجة تسوغ له الانتقال إلى الصوت الثاني.

يقول الخليل: "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري -رحمة الله عليه- مـن حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكملت به، فكان مدار كلامهم وألفاظهم، فـلا يخـرج منها عنه شيء، أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها، فلا يـشذ عنه شيء من ذلك، فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول (أ، ب، ت،

1 - فصّل الدكتور أحمد محمد قدور القول في أصالة هذا الترتيب الصوتي عند الخليل بـن أحمـد ، مستعرضاً أقوال العلماء في هذه المسألة ، فذكر أن بعض الدارسين ذهبوا إلى أن الخليل تأثر في هذا الترتيب بالهنود، وذهب آخرون إلى أنه تأثر بالتراث اليوناني والمعاجم اليونانية. وقد رفـض هـذين القولين عدد من العلماء ذاهبين إلى أن ترتيب الخليل الأصوات عربي أصيل ولا دليل علـى معرفـة الخليل باللغات الأخرى حتى يتأثر فيها. ويرى هؤلاء أن الترتيب الصوتي الخليلي جاء تماشيا مع الجو الحضاري الناهض للحضارة العربية المستنيرة بالإسلام. انظر تفاصيل هذه المسألة عند د- أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر – دمشق، ودار الفكر المعاصر – بيروت، ط1، 1998م ص 18 وما بعدها . انظر هذه المسألة عند د. محمود الـسعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، دار النهضة العربية، (بيروت- لبنان)، ص90. انظر محمد حـسن عبد العزيز، "مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، 1992م، ص249.

ث) وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني -وهو الباء- إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أوّلاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق"[1].

وهكذا ظهرت فكرة الترتيب الصوتي لأصوات العربية أول مرة، ليكون ترتيب الأصوات قائماً على أسس علمية سليمة، وليكون بديلاً من الترتيبين الآخرين المعروفين من قبل، الترتيب الأبجدي السامي، والترتيب الألفبائي العربي.

رأى الخليل بن أحمد أن يرتب أصوات العربية بحسب مخارجها في أعضاء النطق، بادئاً بالأعمق منها في الحلق ومنتهياً بالشفتين معتمداً في تحديد ذلك على حسه الصوتي الدقيق، وذواقه للأصوات، "وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: آب، آت، آح، آع، آغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم"[2].

وقد التأم ترتيب الأصوات في النهاية للخليل بعد ذواقه للحروف ليكون على الشاكلة الآتية:

(ع، ح، هـ ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف،ب، م ،و، ا، ي، الهمزة)[3]

والمتأمل المدقق في ترتيب الخليل السابق – يجد نفسه أمام عدد من المسائل التي تضع أمامه عدداً من الإشكاليات التي تستحق الدراسة لكشف النقاب عن الأسرار

1 - الخليل بن أحمد، "العين"، 47/1.

2 - السابق 47/1.

3 - السابق 58/1.

الكامنة وراء ترتيب بعض الأصوات على الشاكلة التي جاءت عليها. ويمكن إجمال هذه الإشكاليات بما يأتي:

أولاً: وَضْع الهمزة والهاء بتأخيرهما عن الموضع الأصلي لهما.

ثانياً: وَضْع القاف بعد الخاء والغين.

ثالثاً: وَضْع الضاد في حيز الجيم والشين.

رابعاً: تقديم الظاء والثاء والذال على الراء واللام والنون.

خامساً: وَضْع الواو والألف والياء والهمزة آخر الأصوات في الترتيب.

وتفصيل هذه المسائل سيكون على النحو الآتي:-

الهمزة والهاء:

إن أول ما يلاحظه الدارس على ترتيب الخليل السابق هو تأخيره صوتي الهاء والهمزة عن المكان الذي يستحقان أن يكونا فيه، فقد أخَّر الهاء إلى ما بعد العين والحاء، وأخر الهمزة لتكون في آخر الأصوات.

إنَّ من الثابت عند علماء الأصوات قديماً وحديثاً أن صوتي الهمزة والهاء هما أعمق أصوات العربية في جهاز النطق. إذ يجمع القدماء الذين يقسمون الحلق إلى ثلاث مناطق هي أقصى الحلق وأوسطه وأدناه من الفم، يجمع هؤلاء على أن الهمزة والهاء يقعان في أقصى الحلق، في حين تقع العين والحاء في أوسطه، أمَّا أدناه من الفم فهو مخرج الغين والخاء[1].

1 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، 1982م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 433/4. والمبرد، "المقتضب"، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 192/1. وابن دريد، "جمهرة اللغة"، دار صادر - بيروت 8/1. وابن يعيش ، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 123/10 والسيوطي، "همع الهوامع"، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 2001م.

أمَّا المحدثون فيرون أن الهمزة والهاء صوتان حنجريان، وأن العين والحاء صوتان حلقيان، والحنجرة أعمق من الحلق، وعليه فإن ما يخرج من الحنجرة فهو أعمق مما يخرج من الحلق[1].

ولذلك فإن الوضع الطبيعي لترتيب الأصوات بحسب الآلية التي اعتمدها الخليل أن يبدأ بالهمزة والهاء ثم العين والحاء. ولكن الحاصل غير هذا. والسؤال الذي يمكن أن يطرح في هذا المقام هو: أكان للخليل بن أحمد مبرر لهذا الأمر؟ أم أنه كان يرى أن حقيقة الهاء والهمزة على ما أثبتها في الترتيب؟.

يروي لنا ابن كيسان نصًا يفسر لنا هذا التساؤل، إذ يقول: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف"[2].

يصرح هذا النص بأن الخليل كان يرى ما يراه غيره من أن الهمزة والهاء وكذلك الألف أعمق من العين والحاء، إلا أن ما تتصف فيه هذه الأصوات فونولوجيا -كما في الهمزة والألف- أو فوناتيكيا -كما في الهاء- جعله يؤخرها ويقدم العين والحاء، ليكون أحسن في التأليف، وما ذلك إلا لأن الخليل لم يرتب الأصوات لغاية ترتيبها، وإنما من أجل ترتيب مواد معجمه العين.

---

1 - انظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، دار غريب- القاهرة، 2000م، ص184-185، وأحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي"، عالم الكتب، القاهرة، 1991م، ص319. ورمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م، ص55-56. وعبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللغوية"، دار صفاء، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1998م، ص180-184.

2 - السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، 90/1.

وعلى الرغم من أن نص ابن كيسان السابق يجيب لنا عن التساؤل المطروح سابقا، إلا أنه -أي النص- يحمل عدة تناقضات، وذلك إذا ما قيس بما ورد عن الخليل بن أحمد في مقدمة كتابه العين.

وأول هذه التناقضات أن نص ابن كيسان يجعل الخليل يقع فيما فر منه عندما خالف الترتيب الألفبائي إلى الترتيب الصوتي، إذ يذكر الخليل في مقدمة العين أنه كره "أن يبتدئ التأليف من أول (أ، ب، ت، ث) وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حجة واستقصاء النظر"[1].

فالخليل عندما فر من الابتداء بالألف بحسب الترتيب الألفبائي لاعتلالها، كره البدء بالباء إلا بحجة تسوِّغ له البدء بها. وفي نص ابن كيسان نجد أن الخليل لم يفر من صوت واحد فحسب، وإنما فر من ثلاثة أصوات هي (الهمزة والألف والهاء) ثم انتقل إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء. فإن قيل بأن نص ابن كيسان يضع حجة أمام الخليل للانتقال إلى الحيز الثاني متجاوزاً الأصوات الثلاثة المذكورة، فإن النص المقتبس من العين يجد كذلك مسوِّغاً لتجاوز الألف والابتداء بالباء في الترتيب الألفبائي، وهو أن الألف حرف معتل، هذا فضلاً عن أننا نجد المسوغ ذاته في نص ابن كيسان لتجاوز الألف والهمزة.

وثاني هذه التناقضات أن الخليل كان يعتقد اعتقاداً جازماً -كما يفهم من مقدمة العين- أن العين أدخل الأصوات في الحلق، وأن الهاء تتأخر رتبة عن العين والحاء. يقول الخليل: "فأقصى الحروف كلها العين، ثم الحاء، ولولا بحَّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء، وقال مرة:

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 47/1.

هَهَّةٌ، لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض"[1].

فاستعمال الخليل حرف العطف (ثم)، واستخدامه لكلمة (لولا) في التمييز بين هذه الأصوات يشعرنا بأن كل صوت أسبق مما يليه في المخرج ، يضاف إلى ذلك أنه صرّح بعد ذلك بأن هذه الأصوات على الرغم من أنها من حيز واحد إلا أن بعضها أرفع من بعض. وهل لكلمة (أرفع) هنا معنى غير أن بعضها أعمق من بعض. هذا كلّه يجعلنا نوقن بأن الخليل كان على يقين تام بأن العين أعمق من غيرها في المخرج.

وأمَّا التناقض الثالث فهو أن الخليل كان يرى أن الهمزة لا مخرج لها، يقول: "والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه"[2]. ويقصد الخليل بكلمة (الهواء) هنا الجوف، وهو يصرح بذلك في موضع آخر وذلك حين يجمع الهمزة مع الألف والواو والياء ليجعلها جميعها من حيز واحد وهو الجوف، يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً[3] لها أحياز[4] ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاَ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من الحلق، ولا من مدارج اللهاة، وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[5].

وكلام الخليل واضح في أنه يرى أن الهمزة لا مخرج لها، فهي في ذلك كالألف والواو والياء، وإنما تخرج من الجوف. يضاف إلى ذلك أنه يصرح تصريحاً

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 57/1- 58.

2 - السابق، 58/1.

3 - هكذا وردت في الكتاب والصحيح (صحاح) بالرفع؛ لأنها نعت لـ(خمسة وعشرون) .

4 - في الكتاب (أحيانا) والصحيح أحياز، وذلك لأن المعنى لا يستقيم إلا بهذه الكلمة، وقد استخدم الخليل كلمة (حيز) و(أحياز) في غير موضع لهذا الغرض.

5 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 57/1.

مباشراً بأن الهمزة لا تخرج من الحلق حين قال: "ولا من مدارج الحلق". وهو في هذا الرأي يخالف القدماء الذين يعدون الهمزة صوتاً حلقياً.

وضع القاف بعد الخاء والغين:

قدم الخليل بن أحمد في ترتيبه الأصوات الخاء والغين على القاف. والحق أن هذا الأمر نجده عند القدماء من علماء اللغة[1]. وذلك لأنهم يجعلون مخرج الخاء والغين من أدنى الحلق من الفم، أمَّا القاف فمن أقصى اللسان وما يليه من الحنك.

وتختلف النظرة الصوتية الحديثة إلى هذه الأصوات فالقاف عند علماء الأصوات المحدثين صوت لهوي يُنْطَقُ برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهاة ويلتصق بها، أمَّا الغين والخاء فصوتان طبقيان يخرجان من أقصى الحنك، وذلك بأن يرتفع أقصى اللسان حتى يكاد يلتصق بأقصى الحنك[2].

وبناء على هذا الوصف الذي يقدمه المحدثون لخروج هذه الأصوات يتبين أن القاف أدخل في الفم من الخاء والغين، وكان حقها في ترتيب الخليل قبلهما.

ويمكن تفسير هذا الاختلاف بين القدماء والمحدثين في النظر إلى هذه الأصوات من اختلافهم في وصف صوت القاف -قديماً وحديثاً- فلم يقتصر الخلاف

---

1 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، 431/4. والمبرد، "المقتضب"، 192/1. ابن جني، "سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى، 1985م، 45/1. الزمخشري، "المفصل في علم العربية، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت- لبنان، ص393. الزجاجي، "الجمل في النحو"، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ودار الأمل- إربد، الطبعة الأولى، 1984م، ص409."

2 - انظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، ص184. أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي"، ص318. رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة، ص54. عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللغوية"، ص178-179. فوزي الشايب، "محاضرات في اللسانيات"، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1999م، ص163 و 192.

على وضع القاف بعد الخاء والغين أو قبلهما، وإنما تعداه إلى أمر آخر، وهو الحكم على القاف من حيث الجهر والهمس.

فقد وصف القدماء صوت القاف بأنه صوت مجهور[1]، في حين وصفه المحدثون بأنه صوت مهموس[2].

ويمكن الاستفادة من هذا الاختلاف في الحكم على صحة وضع القدماء للقاف بعد الخاء والغين أو خطئه.

قد حاول علماء الأصوات المحدثون أن يفسروا سبب اختلاف القدماء والمحدثين في وصف صوت القاف، فهذا الدكتور كمال بشر يذكر لنا أن ذلك الاختلاف عائد إلى واحد من سببين هما:

1- أن القدماء قد أخطؤوا في وصف صوت القاف.

2- أن تطوراً طرأ على صوت القاف، فالقدماء يتكلمون على قاف تختلف عن القاف التي يصفها المحدثون[3].

والحق أن القول بخطأ القدماء في وصف صوت القاف افتراض مرفوض؛ وذلك لأنهم مع وصفهم له بالجهر وضعوه في ترتيب الأصوات في موضع غير الموضع الذي يكون له لو كان مهموساً، إذ لو كانت القاف الموصوفة هي قافنا المهموسة التي ننطقها في فصحى اليوم لكان موضعها قبل الخاء والغين في الترتيب. وهذا الوضع لا يحتاج إلى عناء كبير في التوصل إليه، فالذوق اللغوي عند الإنسان

1 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، 434/4. ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 60/1. الزمخشري، "المفصل" ص395.

2 - انظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، الصفحات 174، 276. رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة"، الصفحات 54، 78. سمير ستيتية، "الأصوات اللغوية"، دار وائل، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2003م، ص110.

3 - كمال بشر، "علم الأصوات"، ص278.

كافٍ لتحديد ذلك. أمَّا أنهم وضعوه بعدهما مع الكاف في حيز واحد فإن هذا يجعلنا نرفض فكرة الخطأ في وصفهم.

ويبدو أن الافتراض الثاني هو الأقوى وقد أيده عدد من المحدثين[1] وذلك أن وصفهم للقاف يشبه تمام الشبه القاف التي نسمعها في عدد من البلدان العربية، وهي القاف التي تشبه صوت (G) في اللغة الإنجليزية، فهذا الصوت مجهور كالقاف القديمة، يضاف إلى ذلك أنه من حيز الكاف، فهو النظير المجهور للكاف العربية، وهذا يفسر لنا وضع القدماء للقاف والكاف في حيز واحد، ولو كانت القاف التي يصفونها هي القاف الحديثة، لكان وضعها مع الكاف في حيز واحد أمراً مرفوضاً.

ووضع القدماء القاف والكاف في حيز واحد أمر لا شك فيه، والدليل على أنهما عندهم في حيز واحد أننا نجدهما -أي القاف والكاف- يتعاقبان في الترتيب الصوتي لأصوات العربية، فإذا كان الخليل يقدم القاف على الكاف في ترتيبه، فإن سيبويه يقدم الكاف على القاف[2]. وهذا دليل على أنهما عندهم في حيز واحد؛ ولذلك فلا ضير في جعل أحدهما –أياً كان- قبل الآخر، لا لأنه قبله في المخرج ولكن لأنهما من مكان واحد.

ولذلك فإنني أؤكد من خلال ترتيب القدماء لصوتي (القاف والكاف) في الترتيب الصوتي لأصوات العربية أن القاف المجهورة هي صوت (G). ويدل على ذلك غير ما ذكر أننا نجد هذا النطق في كثير من اللهجات الحديثة كلهجة أرياف الأردن وبواديها وسورية واليمن.

---

1 - انظر: جان كانتينيو، "دروس في علم أصوات العربية"، ترجمة صالح القرمادي، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م، ص106. سمير ستيتية، "الأصوات اللغوية"، ص110.

2 - انظر ترتيب سيبويه في "الكتاب"، 431/4.

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى تأييد فكرة التطور التي تعرض لها صوت القاف، فالقاف القديمة عنده غير القاف الحديثة، إلا أنه يذهب مذهباً مختلفاً في تفسير هذا التطور، إذ يرى أن القاف القديمة تشبه -إلى حد كبيره القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وجنوب العراق، فهم ينطقون فيها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين[1].

ويبدو أن تفسير إبراهيم أنيس للقاف القديمة تفسير خاطئ وإن كان يفسر لنا الجهر فيها، وذلك لأنه لو كانت القاف التي يصفها القدماء كالقاف التي نسمعها من السودانيين -وهي تشبه صوت الغين- لكانت في ترتيبها الصوتي مع الغين والخاء وفي الحيز نفسه، ولما كانت مع الكاف، ونحن نلاحظ فصل القدماء بين الخاء والغين من جهة والقاف والكاف من جهة أخرى، يقول الخليل: "فالعين والحاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة"[2]. ونلاحظ هذا الفصل جلياً مثلاً عند سيبويه؛ وذلك حين يجعل القاف بعد الكاف في الترتيب، ويجعل الخاء والغين قبلهما.

وضع الضاد في حيز الجيم والشين:

جعل الخليل بن أحمد الضاد في حيز الجيم والشين، يقول : "ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد"[3]. ووَضْعُ الضاد مع الجيم والشين -وكذلك الياء- أمر مجمع عليه عند القدماء[4] جميعهم.

1 - انظر إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، ص77.

2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 58/1.

3 - السابق، 58/1.

4 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، 431/4. المبرد، "المقتضب"، 193/1. ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 45،47/1. ابن يعيش، "شرح المفصل"، 125/10. الزجاجي، "الجمل في النحو"، ص409.

لم يلق صوت من أصوات العربية على الإطلاق الاهتمام الذي لقيه صوت الضاد، فوضعه في حيز الجيم والشين والياء أمر لافت للنظر، ولو أردنا أن نحاكم هذا الأمر من منطلق نطقنا الحديث لهذا الصوت لكان من المحال أن تكون الضاد في حيز هذه الأصوات، فالضاد في نطقنا الحديث هي من حيز الدال والطاء والتاء. فهل كانت الضاد التي يصفها القدماء مختلفة عن الضاد التي ننطق بها الآن؟

تقتضي الإجابة عن هذا السؤال أن نتناول الحديث عن صوت الضاد من ثلاثة جوانب كانت مثار الخلاف بين القدماء والمحدثين في هذا الصوت، وهذه الجوانب الثلاثة هي:

أولاً: مخرج الضاد.

ثانياً: آلية خروج الهواء من الفم عند نطق هذا الصوت.

ثالثاً: النظير الصوتي المرقق لهذا الصوت.

يصف القدماء مخرج الضاد القديمة بقولهم: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[1]، وهذا يعني أنه صوت يخرج من الأضراس المتصلة بالحنك الصلب (الغار) وهو مخرج الجيم والشين والياء غير المدية، وهذا الوصف لمخرج الضاد عند القدماء يختلف عن المخرج الذي حدده المحدثون لهذا الصوت؛ فالضاد عند المحدثين صوت أسناني لثوي ينطق بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدمة اللثة[2]. ولا أظن أن القدماء قد أخفقوا في تحديد موضع نطق هذا الصوت، إذ إنه أمر يعتمد على الذوق ولا يحتاج إلى كبير عناء في تحديده، ولو كانت الضاد التي يصفون مخرجها هي الضاد الحالية لما وجدوا عناء في تحديد مخرجها؛

1 - سيبويه، "الكتاب"، 433/4.

2 - انظر كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 253.

وذلك لأنها ستكون من حيث المخرج كالطاء والدال والتاء. فَلِمَ يصيبون في تحديد موضع نطق هذه الأصوات ويخفقون في تحديد موضع نطق صوت الضاد؟

وأمَّا الأمر الثاني الذي اختلف فيه القدماء والمحدثون في صوت الضاد فهو وصفهم له من حيث آلية خروج الهواء عند النطق به. ففي حين يصفه القدماء بأنه صوت رخو (احتكاكي)[1]، يصفه المحدثون بأنه صوت وقفي (شديد)[2]. وهذا توكيد ثانٍ لكون الضاد القديمة صوتاً مختلفاً عن الضاد الحديثة.

وأمَّا الأمر الثالث وهو النظير الصوتي المرقق للضاد، فقد ذكر القدماء أن صوت الضاد لا نظير له، وهذا واضح في قول سيبويه: "فلولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"[3]، أمَّا المحدثون فيذكرون أن الضاد هي النظير المطبق للدال والنظير المجهور للطاء[4].

توضح مقولة سيبويه السابقة أن الطاء نظير مرقق للدال "فلولا الإطباق لصارت الطاء دالاً"، غير أن الطاء في النطق الحديث هي النظير المطبق للتاء لا للدال، أمَّا الدال فنظيرها المطبق في النطق الحديث هو صوت الضاد لا الطاء، وهذا مرده إلى أن صوت الطاء قد تعرض للتغير التاريخي في العربية، فبينما كان يوصف عند القدماء بأنه صوت مجهور[5] - وهذا ما يبرر كونه نظيراً مطبقاً للدال المجهور

1 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، 435/4. المبرد، "المقتضب"، 195/1.

2 - انظر هذا الوصف والخلاف بين القدماء والمحدثين في وصف هذا الصوت: كمال بشر، "علم الأصوات"، ص253. رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة"، ص63. سمير ستيتية، "الأصوات اللغوية"، ص133.

3 - سيبويه، "الكتاب"، 436/4.

4 - انظر كمال بشر، "علم الأصوات"، ص253.

5 - انظر سيبويه، "الكتاب"، 434/4.

كذلك- يوصف عند المحدثين بأنه صوت مهموس[1]. ونظراً إلى أن النظير الصوتي يعني اشتراك الصوتين في المخرج والصفات الصوتية جميعها باستثناء صفة واحدة فهذا يعني أن الطاء القديمة هي مماثلة للدال في المخرج والصفات جميعها باستثناء التفخيم في الطاء والترقيق في الدال. أمَّا في النطق الحديث الذي أصبحت الطاء فيه مهموسة، فقد أصبحت تختلف عن الدال في صفتين، هما التفخيم والهمس مقابل الترقيق والجهر في الدال، ولذلك أصبحت الطاء الحديثة المهموسة نظيراً للتاء لا للدال، في حين تعدُّ الضاد الحديثة هي النظير المطبق للدال؛ وذلك لأنهما يشتركان في المخرج والصفات جميعها باستثناء التفخيم في الضاد والترقيق في الدال. ويوضح هذه المسألة التخطيط الآتي:

النطق القديم			**النطق الحديث**
الضاد	← ليس لها نظير	الضاد	← نظير مطبق للدال
الطاء	← نظير مطبق للدال	الطاء	← نظير مطبق للتاء

وعليه يظهر لنا أن نطق الضاد المتطورة كان قديماً للطاء؛ لأنهما يشتركان في النظير المرقق نفسه، وذلك قبل أن تفقد الطاء الجهر فتصبح نظيراً للتاء.

أمَّا صوت الضاد القديم فكان ينطق كما وصفه القدماء من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، وتفسير هذا أن يلتصق طرف اللسان بالأضراس اليسرى مع السماح للهواء بالمرور - فهو في وصفهم رخو لا شديد.

ويبدو لي أن الصوت الناتج في هذه الحالة سيكون مشابهاً من الناحية السمعية لصوت الظاء مع الاختلاف في وضع اللسان ومكانه عند النطق بهما، ويدل على ذلك عندي أنَّ العرب كانوا يخلطون في نطقهم بين الكلمات التي تتضمن أحد

1 - انظر هذا الخلاف في وصف هذا الصوت: رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة"، الصفحات 75، 78.

هذين الصوتين، حتى وصل الأمر عند علماء العرب إلى أن يؤلفوا المؤلفات في التفريق بين الضاد والظاء ومنها مثلاً:

- "الفرق بين الضاد والظاء"، للزنجاني.
- "مختصر في الفرق بين الضاد والظاء"، لمحمد بن نشوان.
- "الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء"، لأبي حيان الأندلسي.
- "الفرق بين الضاد والظاء"، للصاحب بن عباد.
- "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء"، لأبي البركات بن الأنباري.
- "الضاد والظاء"، لمحمد بن سهيل النحوي.
- "الضاد والظاء"، للقزاز.

وغيرها كثير.

تقديم الظاء والذال والثاء على الراء واللام والنون:

يجمع علماء اللغة القدماء والمحدثون على أن مرتبة الراء واللام والنون قبل مرتبة الظاء والثاء والذال. فالراء واللام والنون أصوات لثوية، أمَّا الظاء والثاء والذال فهي أصوات أسنانية أو بين أسنانية[1].

إلا أن الخليل بن أحمد يخالف القدماء والمحدثين، وذلك حين يجعل الظاء والثاء والذال قبل الراء واللام والنون. وهو يذهب هذا المذهب؛ لأنه يرى أن أصوات

1 - انظر: سيبويه، "الكتاب"، 433/4. كمال بشر، "علم الأصوات"، ص183. أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي"، ص316-317. رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة"، ص48-49.

الظاء والثاء والذال أصوات لثوية، لأن مبدأها من اللثة، في حين يرى أن الراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان[1].

وعلى الرغم من غرابة تحديد الخليل لمخرج الظاء والثاء والذال بأنه اللثة، إلا أننا نجد من القدماء من يوافقه في هذا الرأي وهو ابن يعيش، الذي يوضح هذا الرأي بقوله: "والظاء والذال والثاء من حيز واحد وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة"[2].

والحق أن لهذا الرأي ما يسوِّغه، فالخليل ومن ذهب مذهبه، ينظر في تحديد مخرج هذه الأصوات إلى أول أجزاء اللسان ارتفاعاً عند صناعة مخرج الصوت، فالملاحظ أن طرف اللسان يرتفع ليلامس اللثة مع بقاء وسطه منخفضاً ليخرج الهواء عند إنتاج الأصوات الثلاثة السابقة، وعلى هذا الأساس يكون وصف الظاء والثاء والذال بأنها لثوية صحيحاً. أمَّا اللام والراء والنون، فالخليل يحدد مخرجها من حيث المكان المسؤول من اللسان عن إخراجها وهو ذلق اللسان، ونظراً إلى أن ذلق اللسان يأتي بعد طرفه إذا نظرنا إلى أجزاء اللسان من الأعمق إلى الأظهر، فإن ترتيب هذه الأصوات على هذا الأساس يكون صحيحاً.

إلا أن ما يؤخذ على الخليل في هذا الصدد هو الازدواجية في طريقة تحديد مخرج الصوت، فمرة يحدده باعتبار الجزء من الفم الذي يصطدم فيه اللسان، وذلك كما في تحديده للظاء والثاء والذال بأنها لثوية، ومرة يحدده باعتبار الجزء من اللسان الذي يرتفع عند النطق بالصوت، وذلك كتحديده أصوات اللام والراء والنون بأنها ذلقية.

1 - انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 58/1.

2 - ابن يعيش، "شرح المفصل"، 125/10.

وضع الواو والألف والياء والهمزة آخر الأصوات في الترتيب:-

جعل الخليل بن أحمد أصوات (الواو والألف والياء والهمزة) في آخر ترتيبه لأصوات العربية، وقد جعلها كذلك وذلك لأنها كما يقول تخرج من الجوف، يقول: "وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[1]. ويقول في موضع آخر: "والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء"[2].

والحق أن الخليل بهذا يصف الواو والياء في بعض حالاتهما، وذلك حين تكونان مديتين كالألف، وهو يخلط بذلك بين الياء والواو المديتين وبين الياء والواو غير المديتين.

والحق أن عدم التمييز بين هذين النوعين من الناحية الصوتية هو دَيْدَنُ القدماء أجمعين، باستثناء ابن الجزري الذي يفرق في المخرج بين الواو والياء غير المديتين والواو والياء المديتين، إذ يرى هذا العالم الكبير أن الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها (الواو المدية) والياء الساكنة المكسور ما قبلها (الياء المدية) مخرجها جميعاً من الجوف[3]. أمَّا الياء غير المدية فيحدد ابن الجزري مخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك[4]، وأمَّا الواو غير المدية فما بين الشفتين[1].

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 57/1.

2 - السابق، 58/1.

3 - انظر ابن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 199/1.

4 - السابق، 200/1.

أمَّا علم اللغة الحديث فهو يميّز صوتياً بين الـواو والياء غيـر المـديتين ويصفهما بأنهما صامتان شبها حركة، وبين الواو والياء المديتين ومعهما الألف ويعـدُّ هذه الأصوات حركات. والفرق بين الصوت الذي يوصف بأنه صامت والصوت الذي يوصف بأنه حركة يكمن أكثر ما يمكن في حركة الهواء عند النطـق بالـصوت، إذ تتميّز الحركات عند نطقها بأن الهواء يمر من الفم حراً طليقـاً دون عـائق أو مـانع يقطعه أو ينحو به نحو منافذ أخرى كجانبي الفم أو الأنف، أو دون تـضييق لمجـراه فيحدث احتكاكاً مسموعاً[2].

وقد أدرك الخليل بن أحمد والقدماء هذه الفكرة في نظرتهم إلـى الحركـات غير أن الفرق بين القدماء والمحدثين يكمن في أن الحركات في عرف القدماء هي فقط الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة)، أمَّا المحـدثون فيـضيفون إلـى هـذه الأصوات أصواتاً أخرى عدَّها القدماء من الصوامت وهي الألف والياء المدية والواو المدية، إذ يرى المحدثون أن هذه الأصوات حركات، وهي مـا يـسمونه بالحركـات الطويلة[3].

ويبدو أن وصف الخليل لأصوات المد بأنها تخرج من الجوف نابع من فهمه لحقيقة اتساع مخرج هذه الأصوات، فاتساع مخرج هذه الأصوات وخروج هوائها حراً طليقاً دون عائق جعله يحدد مخرجها بأنه من الجوف. والجوف عنده كما ذكـر هـو عدم وجود حيز من أحياز اللسان أوالحلق أو اللهاة تنتسب إليه هذه الأصوات، أو هـو الهواء كما ذكر في موضع آخر إذ يقول: "والياء والواو والألف والهمزة هوائية"[4].

---

1 - السابق، 201/1.

2 - انظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، ص217. فوزي الـشايب، "محاضـرات فـي اللـسانيات"، ص222.

3 - انظر كمال بشر، "علم الأصوات"، ص430.

4 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، 58/1.

وبناء على هذا التحديد فإنه يمكن القول: إنَّ الخليل كان يصف في هذا أصوات المد دون أن يلتفت إلى الواو والياء غير المديتين، إذ لم يكن يميّز من ناحية صوتية بين الواو والياء المديتين والواو والياء غير المديتين.

هذا فيما يتعلق بترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد رأى بعض أهل العلم أن ترتيب الخليل السابق للأصوات يكتنفه الخطل والاضطراب، فهذا ابن جني يقول بعد ترتيبه أصوات العربية: "فهذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأمَّا ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"[1].

وعلى الرغم مما قيل في ترتيب الخليل من الخطأ والاضطراب إلا أنه يبقى ذا أهمية بالغة؛ وذلك لأنَّه قدم للفكر الصوتي العربي والقديم طريقة جديدة لترتيب أصوات العربية وفق منهجية علمية دقيقة، فقد هب علماء العربية بعد الخليل، ابتداء بتلميذه سيبويه إلى الأخذ بهذه المنهجية في ترتيب أصوات لغتهم، مستدركين ما فات الخليل، ومتجاوزين ما وقع فيه من أغلاط.

ترتيب سيبويه للأصوات:

رتب سيبويه أصوات العربية على الشكل الآتي:

(الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو)[2]

1 - ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 45/1-46.

2 - انظر سيبويه، "الكتاب"، 431/4.

وقد لقي ترتيب سيبويه لأصوات العربية على هذه الشاكلة استجابة كبيرة لدى علماء اللغة من بعده، فأخذوا به دون أن يغيروا فيه، إلا فيما يتعلق بالأصوات داخل الحيز الواحد، كأن يقدم صوتا على صوت آخر لا لأنه قبله في المخرج ولكن لأنهما من حيز واحد[1].

ويبدو أن سيبويه لم يقدم صوتاً على آخر داخل الحيز الواحد، إذ جعل أصوات كل حيز في مكان واحد، ودليل ذلك أنه عندما فصَّل الحديث عن مخارج الأصوات لم يذكر أن صوتًا من أصوات الحيز أعمق من الآخر، فقد ذكر على سبيل المثال أن الهمزة والهاء والألف من أقصى الحلق، وأن العين والحاء من وسطه، وأن الغين والخاء من أدناه، وهكذا دون أن يميّز صوتاً من آخر.

وقد يظهر لبعضهم أن سيبويه قدم القاف على الكاف، وأنه قدم الراء على النون، وذلك في قوله: "ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف"[2]، وفي قوله: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"[3]، غير أن الحقيقة غير ذلك، فهو لم يقدم أحد هذه الأصوات على الآخر إلا من حيث الجزء من اللسان الذي يتدخل في عملية

1 - انظر مثلاً: المبرد، "المقتضب"، 192/1-194. الزمخشري، "المفصل"، ص393-394. الزجاجي، "الجمل في النحر"، ص409. ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 45/1. على أن أكثر القدماء لم يقوموا بترتيب الأصوات ترتيباً مباشراً، وإنما يفهم ترتيبهم من خلال حديثهم عن مخارج الأصوات، كما هو الحال عند المبرد مثلا.

وقد قام بعض المحدثين بدراسة ترتيب الأصوات عند سيبوية ومن أولئك د- تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001م، 50-63.

2 - سيبويه، "الكتاب"، 433/4.

3 - السابق نفسه.

النطق. أمَّا العضو الآخر الذي يلتصق اللسان به فهو واحد في هذه الأصوات جميعها، يدل على ذلك أنه في الترتيب العام للأصوات قدم الكاف على القاف[1].

إلا أن هذه النظرة لم تكن واحدة عند العلماء القدماء جميعهم، فقد رأى بعضهم أن أصوات الحيز الواحد قد يكون بعضها أعمق من غيره، فالمبرد مثلاً يرى في أصوات الحيز الأول أن الهمزة أعمق من الهاء والألف، يقول: "فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك"[2]. وكذلك يرى الأخفش أن الهمزة أولاً ثم الألف والهاء من مكان واحد[3]. وقد اعتُرِضَ على رأي الأخفش هذا من قبل أكثر من عالم، جاعلين الألف أعمق من الهاء، مستدلين على ذلك بمسألة فونولوجية؛ وهي أن الألف إذا حركت قلبت همزة، يقول ابن جني: "وزعم أبو الحسن أن ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها، والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي"[4].

وكذلك يجعل الزجاجي صوت القاف قبل الكاف، يقول: "ومن أقصى اللسان وما يليه من الحنك القاف، وأسفل من ذلك قليلاً الكاف"[5]، وقد رجح أبو حيان أن رتبة

1 - انظر ترتيب سيبويه للأصوات كما في أول هذا المبحث، على أن بعض نسخ كتاب سيبويه تقدم القاف على الكاف كما أشار المحقق، إلا أن النسخة التي اعتمدها المحقق تقدم الكاف على القاف، انظر الكتاب 431/4.

2 - المبرد، "المقتضب"، 192/1.

3 - انظر رأي الأخفش عند ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 46/1. ابن يعيش، "شرح المفصل"، 124/10. السيوطي، "همع الهوامع"، 292/6.

4 - ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 46/1-47.

5 - الزجاجي، "الجمل في النحو"، ص410.

العين بعد الحاء، وأن رتبة الغين قبل الخاء[1]. ويوافقه شُرَيح في جعل الغين قبل الخاء[2]. أمَّا مكي بن أبي طالب فيجعل حروف الحلق كاملة مرتبة بحيث لا يخرج أي صوت منها من مكان الآخر ، يقول:" فأمَّا الحروف التي تخرج من الحلق فستة، الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين، وقد زاد قوم الألف، ومسالك خروجها من الحلق على ترتيبها في الخط الذي مثَّلنا"[3].

أمَّا بالنسبة إلى أصوات اللام والنون والراء فهي من حيز واحد من حيث موقعها من اللثة مع الأسنان، غير أن الفرق بينها في موضع نطقها من اللسان، يقول ابن جني: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"[4]. إلا أن ابن يعيش يجعل بعض هذه الأصوات أرفع من بعض وترتيبه لها كما يظهر من وصفه لها: اللام ثم النون ثم الراء. يقول: "واللام والنون والراء في حيز واحد، وبعضها أرفع من بعض"[5].

ويجعل ابن الجزري لهذه الأصوات الثلاثة مخارج ثلاثة، فيقول:

"المخرج التاسع - اللام، من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية.

المخرج العاشر للنون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً.

---

1 - انظر السيوطي، "همع الهوامع"، 292/6.

2 - انظر ابن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، 199/1.

3 - مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م، ص139/1.

4- ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 47/1.

5 - ابن يعيش، "شرح المفصل"، 517/5.

المخرج الحادي عشر للراء، وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا"[1].

والحق أن كلام القدماء كلّه يدلُّ على أن مخرج هذه الأصوات واحد من حيث موقعها من اللثة مع الأسنان، غير أن الاختلاف في موضعها من اللسان ووضع اللسان منها من حيث المساحة المستخدمة منه في أثناء نطقها.

ومن الملاحظ على ترتيب سيبويه للأصوات أنه تجاوز ما وقع فيه الخليل من أخطاء، فقد قدم سيبويه (اللام والراء والنون) وأخّر (الذال والثاء والظاء)، وقد وافقه كل من جاء بعده في هذا، القدماء والمحدثون من علماء الأصوات. وكذلك فقد غيَّر ترتيب الواو والياء فقد جعل الياء في حيز الجيم والشين، والواو مع الباء والميم، وهذا يدلُّ على أن سيبويه يجعل للواو والياء مخرجاً، مخالفاً بذلك الخليل الذي يرى أنهما هوائيان يخرجان من الجوف، والجوف ليس بمخرج كما يشير الخليل، فقد حدد سيبويه أن الياء تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، والواو مما بين الشفتين[2] ويبدو أن هذا الخلاف في تحديد مخرج هذه الأصوات بين الخليل وسيبويه مرده إلى أن الخليل قد وصف الواو والياء المديتين، أمَّا سيبويه فقد وصف الياء والواو غير المديتين. والفرق الصوتي بين هذه الأصوات كبير كما تحدده معطيات علم الأصوات المعاصر. فالواو والياء المديتان حركتان طويلتان، والواو والياء غير المديتين صامتان -شبها حركة-، والفرق بين شبه الحركة والحركة هو أن شبه الحركة صامت وله مخرج. فالواو غير المدية صوت شفوي، والياء غير المدية صوت غاري يخرج من الحنك الصلب؛ لذلك وضع سيبويه الياء مع الجيم والشين وهما صوتان غاريان، ووضع الواو مع الميم والباء وهما صوتان شفويان. أمَّا الحركة

1 - ابن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، 200/1.

2 - انظر سيبويه، "الكتاب"، 433/4.

فلا مخرج لها، بمعنى أن مخرجها متسع، فكأنها تخرج من الجوف مباشـــرة، ولـــذلك وضع الخليل الواو والياء مع حروف الجوف.

الخاتمة والنتائج:

يظهر لنا مما سبق في هذا البحث أن العرب القدماء أبدعوا فـــي دراســـتهم لأصوات لغتهم، وكان من نتائج هذا الإبداع اهتمامهم بإعادة ترتيب أصوات لغتهم من الترتيب الأبجدي السامي إلى الترتيب الألفبائي العربي، وصولاً إلى الترتيب الـــصوتي الذي بدأه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلاه تلميذه المخلص سيبويه، ثم أخذه عنه كـــل من جاء بعده.

وقد استطعت في دراستي لترتيب أصوات العربية في مراحله المختلفـــة أن أقف على عدد من النتائج، كان أهمها:

أولاً: ظهر الترتيب الأبجدي أول ما ظهر لغاية تعليمية هي تسهيل حفظهـــا من أجل حفظ القيمة العددية لكل حرف من الحروف.

ثانياً: الترتيب الألفبائي (الهجائي) هو ترتيب عربي أصيل، غايتـــه وضـــع الحروف المتشابهة الشكل بعضها بجانب بعض؛ وذلك من أجل إعجامهـــا بـــالتنقيط، وذلك لتمييز كل صوت مما يشابهه في الرسم من الأصوات الأخرى.

ثالثاً: يكشف الترتيب الصوتي الذي بدأه الخليل بن أحمد عند العـــرب عـــن بعض الملامح الصوتية لأصوات العربية في القديم.

رابعاً: تعرض عدد من أصوات العربية لتطور تـــاريخي ســـاعد الترتيـــب الصوتي في الكشف عنه وذلك كالتطور الحاصل لصوتي الضاد والقاف.

خامساً: اختلف القدماء في صوتي (الواو والياء)؛ وذلك لأنهـــم لـــم يميِّـــزوا صوتيًا بين المدّيّ منهما وغير المدّيّ، إلا ما نجده عند ابن الجزري الذي ميّـــز بـــين النوعين، فجعل للواو موضعين ولليا كذلك موضعين، أحدهما للمدية منهما والآخـــر لغير المديّة.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م.
2. أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر – دمشق، ودار الفكر المعاصر – بيروت، ط1، 1998م .
3. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991م.
4. إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1982م.
5. أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1981م.
6. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001م.
7. جان كانتينيو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م.
8. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
9. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى، 1985م .
10. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
11. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد، بغداد، 1980.
12. ابن دريد، جمهرة اللغة، دار صادر- بيروت.

13- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م.
14- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة، 1999م.
15- الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ودار الأمل- إربد، الطبعة الأولى، 1984م.
16- الزمخشري، المفصل في علم العربية، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت- لبنان.
17- سمير ستيتية، الأصوات اللغوية، دار وائل، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 2003م.
18- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، 1982م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
19- السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 2001م.
20- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية -صيدا- بيروت، 1986م.
21- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1998م.
22- عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط2، 1994.

23- علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2000م.

24- فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1999م.

25- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب- القاهرة، 2000م.

26- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

27- محمد جواد النوري، علم أصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1996م.

28- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، 1992م.

29- محمود السعران، علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان.

30- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 2005م.

31- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م.

32- ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا – تجدد بن علي المازندراني، 1971.

33- ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2010/5/26.